اقاصيص وصور من الحياة

الفت نظر القارىء الى ان ابطال هذه الصور والاقاصيص يعيشون بيننا اوحت « القهوة » للمؤلف بالكتابة عنهم واقرر هنا ان القهوة تعد اخصب مورد للكاتب القاص بما تعرضه له من الشخصيات المتنافرة والاراء المتباينة وهو يعزو نجاحه فى كتابة الاقاصيص والصور الى القهوة . . .

يوميات اديب

صاحب هذه اليوميات شاب كثير الاطلاع يميل الى كتابة القصة لانها كما يقول تمكن الكاتب من التعبير عما يخالج نفسه وتتيح له ان يعيش مع ابطاله في الجو الذي يود ان يرى فيه المجتمع ولكنه يمتاز عن كثير من الشباب بالهدوء والتفكير العميق ، ثار اولا فكان يكتب يوميا بلا انقطاع فلما خطر له ان يكتب القصه انكب على قراءة الكتب الخاصة بعلم النفس والاجتماع ، واندس بين مختلف الطبقات وانتهى الى أن يقبع حتى يستكمل ادوات الفن

دعاني الى منزله مع جماعة من الاصدقاء لنحكم على ذوقه في ترتيب مكتبته . ذهبنا والقى جمع الاصدقاء نظرة خاطفة على المكتبة وما تحويه ثم اخذوا يصغون لما يذيع الراديو فلما رأى الصديق انصرافهم عن المكتبة اخذ يجاذبني اطراف الحديث وكان ان طرقنا « روسو » وما نقل للعربية من آثاره ثم اخذ يمتدح طريقة روسو التي اشار اليها في كتابه وبخاصة عند ما اشار بوجوب اقناع الطفل بانه هذا العام احسن من العام الماضي وعلى اثر ذلك انصرف الاصدقاء فذهب الصديق الى المذياع وعرك اذنه كما يقول الأستاذ البشري الى

جهة اليسار وساد الصمت هنيهة ثم فتح درج مكتبه واخرج بضع كراسات كبيرة اختار منها ثلاثة ودفع بهم الى وهو يقول اقرأ هذه الكتب وأرجو ان تجدني على حال يدفعك الي تحفيز همتي واثارة غريزة المنافسة كما يشاء روسو

اخذت تلك الكتب التي تحوي حياة صديقي اذ انها لم تكن الا يوميات ضمنها حياته الادبية وها انا اعرض خلاصتها على القراء ففيها تفكهة لاخواني النشئين في الادب .

العام الاول

في كل صفحة من صفحات هذا العام يستفيد من النحو ومن الذين ذكروه بشيء اسمه النحو فقد كان قبل ذلك يكتب وينشر ويخطب دون احتياط ودون توقف ولكنه منذ علم ان هناك نحوا وان للغة قواعد يجب معرفتها وهو حانق متألم . كان قبل ذلك يكتب ما يمن له بلا حذر اما الآن فيضطر احيانا لحذف جملة رائعة لان فيها كلمة لعب الشك برأسه في صحتها ويضع مكانها جملة اخري لا تعجبه ولكن ناحية الشك فيها معدومة ورغم وفرة كتابته وكثرة اطلاعه فان الكلمات التي يفقهها طلبة المدارس الابتدائية يتعثر فيها فهو يعترف بانه لا يدري في أي المواضع يكتب — كتابان وكتابين — وفي أيها يكتب — المسلمين والمسلمون — وقد حاول أن يتعلم النحو ولكن وقته لن يسمح له بذلك فهو لا يستطيع أن ينتهي من

عمله قبل الساعة الواحدة صباحا وأي استاذ يرضي أن يدرس له في ذلك الوقت؟؟ ينطق بالكلام صحيحا في أغلب الاحيان؟ فقد يحدث ان يقرأ للذين تخرجوا من الازهر فلا يلحظون اغلاطه إلا قليلا والامر الذى يستغرب له الصديق انه احيانا ما يجلس مع من يدرسون في المدارس ويأخذون في قراءة الشعر فيجد انه أحسن منهم فهما لأغراض الشاعر وأجمل منهم ذوقا في فهمه، وكثيراً ما ابتسم حينما تذكر الليلة التي غنى فيها المطرب دور " تلفتت ظبية الوادي "، وأتى اليه جمع من الاصدقاء بينهم المدرس وطالب البكالوريا يسألونه ماذا يعنى الشاعر بقوله : —

ليلى مناد دعا ليلى فخف له نشوان في جنبات الصدر عربيد

ما هو هـــذا الشيء ؟؟ الذي خف معربداً ، يضحك لأنهم يسألونه عن شيء يجد هو انه من البساطة بحيث لا يتصور فهمه على من كان مثلهم " وهذا العام انفرد فيه صاحبنا بالتفوق والكثرة في نشر اسمه بالصحف فقد كانت هناك مسألة تتعلق ببعض اخواننا في الدين والاستعمار .

وكانت الصحف ترحب بكل من يكتب في هذا الموضوع فكان لا يمر يوم دون ان يكون للصديق اثر ! فتراه يستصرخ بالعالم الاسلامي ليمجد اخوانه وتارة يهدد الدول الظالمة بعاقبة ظلمها ولم يدع الكتابة في هذا الشأن حتى استدعته نيابة دمنهور للتحقيق معه بناء على طلب المرحوم الاستاذ (داوود بركات) رئيس تحرير (الاهرام) وكان

وقد وصله خطاب تهديد بالقتل . ولما كان الصديق دائما يشفع بموقف تلك الصحيفة ازاء مسألة التهذيب التي يكتب بشأنها ويدعو الناس .... فقد اتهم بانه صاحب الخطاب وقد اجاب اجابة طريفة في التحقيق منها « هذا الخطاب ليس مني فانا اعمل في النور ومثل هذا الخطاب لا يرسله الا من يعمل في الظلام، كيف ارسل هذا الخطاب وانا اكتب يوميا في الصحف وادعو الناس جهرا لفاطمة (...) ان الذي يعرف كيف يكتب ليس بحاجة لاستعمال هذا السلاح، ترك الكتابة في هذا الموضوع لان عائلته رأت انه من الخطر ان يسترسل في الكتابة واخذت عليه المواثيق والصديق ليس بحانق على أهله فهو يعذرهم لانهم لم يتلقوا نصيبا من العلم يمكنهم من الحكم على الاشياء ولكن حنقه على الذين كانت المسائلة تستشهد بهم على صحة رأيها فيجيبون رغم انهم متعلمون « خلينا نأكل عيش . احنا مالنا ومال كده » مضى عليه شهر لم يكتب ولكنه عاد فاندفع في الكتابة رغم غضب العائلة عاد مدفوعا بدافع اقوى من الدفع الاول حينما كتب الاستاذ حافظ عوض مقاله المشهور (نحن والانجليز وجها لوجه) كتب الصديق في هذا الموضوع كثيرا مثنيا على الكاتب ومعجبا لطريقته وانتهى منه ليكتب ردودا على اسئلة الصحف وموافقة على آراء بعض الكتاب ثم بدى له ان يهم وجهه شطر الادب فكان « أول ماشطح نطح » كتب نقدا لبعض

قصص المرحوم امير الشعراء التي اعجبته قوافيها ولم يعجب بفكرتها وسير حوادثها وطلب من المؤلف اذا كان لابد ان تكون لمصر قصص شعرية ان يكلف احد كتاب القصة بكتابة (الفكرة) ثم يصيغها هو في القالب الشعري. وفي هذا العام نشر كتيب لكاتب معروف باسلوبه الفكه يتحدث فيه عن نفسه والصديق يعجبه هذا النوع وطالما نادى في بعض مقالاته ان يحذو كتابنا حذو كتاب الغرب فيحدثونا عن انفسهم لان القاريء يحب ان يجد نفسه مصورا فيما يكتبون، قرأ الصديق الكتاب فراقه صدق الكاتب وعدم تعمده اخفاء شخصيته فكتب له مهنئا ومعجبا ولم يمض على ذلك ثلاثة ايام حتى اتى اليه كتاب من المؤلف يشكره ويعد تهنئته تشجيعا من « اديب بار بزملائه الادباء » كان هذا الخطاب موضع حديث طويل مع اخوان الصديق الذين بدا عليهم الحسد والحقد لا لشيء الا ان للمؤلف المشهور الاستاذ فكري اباظه أرسل له الرسالة وكتب عليها الاستاذ وكتب فيها كما أوضحت من اديب ... ولكن الصديق كان يعجب لحسد اخوانه ويتألم لانه كان يود نشر كتابه الذي تناول فيه كتاب المؤلف بالتحليل ولم يكن يحب أن تأتي اليه رسالة خاصة - في شهر مارس من هذا العام . اشتري الصديق بكل مرتبه « كتبا » وعلم الله كم قاسى هو ومن يعولهم من جراء ذلك ، دفعه الى ذلك كثرة ما طبع في هذا الشهر ... ختم الصديق هذا العام بنبذة قرأها للشاعر

« ماكولى » اعجبته لانها توافق من وجوه كثيرة حالته قال ما كولى

« ان من الناس الذين احب ان اتكلم عنهم بالاحترام والوقار من تعتريه المخاوف التي لا أساس لها عما يسمونه المعارف السطحية فهم يقولون ان المعارف الجديرة بان تسمى بهذا الاسم هى من البركات الانسانية وهى خليفة الفضيلة و بشيرة الحرية ولكن مثل هذه المعارف يجب ان تكون عميقة، فالجماعة التي قد وزنت طرفا من الرياضيات وطرفا آخر من الطبيعة وآخر من الكيمياء وقرأت شيئا من من الشعر واصابت شيئا آخر من التاريخ مثل هذه يقولون عنها ان وجودها مخطر بالمصلحة العامة . . هينا تحدثنا عن رجال العلم العميق فهل نعنى بذلك انهم قد بلغوا قرار العلم . اننا اذا قارنا بين الحقائق القليلة التي نعرفها و بين ما يجهل من الحقائق التي لا تعنى لا عترفنا باننا جميعا سطحيون ـ فكلانا مبتدىء »

العام الثانى

فى هذا العام ابتدأ الصديق يدرك ان الصحف لم تكن تكتب مقالاته الا لأنها توافق مبدأ الصحيفة وتوافق ضجة الحوادث التي تثيرها الصحف وان هذا لا يليق « بالاديب » ارسل بعض مقالات في الادب فأهملت و بعث بمقالات فى السياسة فكان نصيبها كالاولى اذن هم كانوا ينشرون مقالاته التي تكون تحبيذا لكاتب اومجاراة لحادثة معينة شأنه شأن سائر الناس . لن يرسل شيئا للصحف: فى هذا

العام أيضا . كثر الحديث حول « القصة » وكيف انها هي التي سمت بالادب الغربي وان الادب العربي مفتقر اليها فامتنع عن كتابة المقالات واخذ في كتابة قصة تدور حوادثها في اوروبا ويلوح انه كان متأثراً بقول بعض الكتاب (ان القصة لن تخلق في مصر الا اذا خلقت امرأة جديدة) انتهى من كتابة القصة بعد ان امضى في كتابتها ثلاثة اشهر . وتطلع . اين ينشرها؟ تملكه الغرور وجال ببصره في سماء الصحف والمجلات فرأى ان مجلة « السياسة الاسبوعية » محترمة وتكاد تنفرد بالكتابة عن الادب ولم يكن بمصر مجلة ادبية سواها ، رأي انها تليق بقصته — المغفور — ورأى ان لا تنشر الا بها فبعث بالقصة اليها ومعها طوابع بريد بخمسة قروش ورجا من محرر المجلة أن يرد اليه القصة اذا لم يوافق على نشرها وقال انه ارسل الطوابع لذلك الغرض . مضي شهر — اثنان — ثلاثة شهور لم تنشر القصة ولم تعد اليه ارسل خطابا للمجلة وحادث محررها تليفونيا بدون جدوي ، مضي الشهر الرابع ولم تنشر ولم تعد . رأى الصديق ان هذا الامر لا يليق بتلك المجلة فهي كما قلت محترمة ولا بالمحرر فله مكانة أدبية وسياسية ثم رأي ان في البلد مجلة انتقادية كانت فيما مضى نصيرة للمجلة وصاحبها وحزبها ولكنها الآن بسبب تقلبات السياسة قد انقلبت عليها فكتب مقالا ندد فيه بالمحرر وكتب له عنوانا « بروتس النبيل » ولكنه عاد فمزق المقال لانه قرأ لذلك المحرر كتابا لن

ينسى الفائدة واللذة التى جناهامنه ففر للمحرر من اجل ذلك والتمس له المعاذير . وهو الآن يحمد الله لان هذه القصة لم تنشر فهى عنده بعد ذلك (هذيان مبتدىء) اخذ بعد ذلك يكتب القصص القصيرة متشبها بكتاب الروس كما يقول وارسل باحدى هذه القصص الى مجلة تقول أنها نصيرة الشباب وأرفق بها طابعى بريد لرجوعها فى حالة عدم نشرها. وصلت القصة للمجلة فأخذت طريقها الى سلة المهملات ووصلت الطوابع فأخذت سبيلها الى جيب المحرر فلم تنشر القصة ولم ترد اليه وقد اشار الصديق الى ذلك اشارة طريفة قال « ان القصة ليست بقصة وأنا التمس العذر للمحرر فى أخذه الطوابع فقد يكون اشترى بها « اسبيرين » لرأسه التى تصدعت بعد قراءتها » وهو يحمد الله أيضا لان هذه القصة لم تنشر ولم تشر المجلة اليها .. نشرت احدى الصحف موضوعا أدبياً له قارن فيه بين الادب العربى القديم والادب المصرى الحديث وانتصر فيه للأدب الحديث وكان هذا المقال قد أرسله لها فى العام الماضى وهو يعجب من نشره بعد هذه المدة الطويلة ويعزو نشره لأمرين، اما أن تكون فيران سلة المهملات كانت فى نزهة ابان هذه المدة ؛ واما أن يكون هناك عداء بين الصحيفة وبين الأدب القديم . أرسل لها مقالا ثانياً عن شعراء الاندلس فنشرته أيضاً ففرح وأخذ على نفسه عهداً أن يتعلم النحو وألا يرسل للصحيفة إلا كل شهر مقالا ولكن هل معنى هذا أنه أصبح مقلا لا يكتب إلا كل شهر

ـ كلا ـ فهو ما انفك يكتب كل ليلة ولكنه يكتبه ليحفظ مايكتبه في سلة مهملاته هو ـ وختم هذه السنة بشكوى مرة من العمل وتعب العمل ومن الكتابة التي تضطره لأن يكتب بعد جهاد في سبيل العيش عنيف ويعجب من قوة سلطان هذه الكتابة فكم مرة حاول ألا يكتب ، بل كم مرة حاول أن يكتب في يوم واحد من أيام الاسبوع فكان شيطانها يهزأ منه ثم يلعن هذه الظروف التي اقتضت أن يكون كاتبا بينما عمله لا يسيغ له الكتابة ومؤهلاته وخاصة في اللغة غير مرضية وغير مستوفاه بحيث تجعله يمضي في الكتابه ثم حاول أن يكون قارئا فقط فلا يكتب فلم يوفق

العام الثالث

في أوائل هذا العام يشير بأنه يكتب صفحات عديدة ليمزق أكثرها وقد استعار كلمة استاذه الكبير فحشرها في يومياته ـ يكتب ثم يشطب ويمزق ويكتب ليشطب ويمزق ، ثم أرشد الى أحد العلماء وطلب منه أن يعلمه النحو ولكنه يقول أنه رغم انقضاء شهر لم شيئا فلم يصبر وتنحى عن مواصلة الدرس وأخذ يملك نفسه واستطاع ان يمتنع عن ارسال ما يكتبه الي الصحف فادام نصيبها سلة المهملات فلتكن سلته هو ، ولكن هل معنى ذلك انه قدر على ان يريح نفسه ويكتب قليلا كلا ، فهو ما زال يكتب كثيرا ليمزق وليحفظ ـ وهو يقول انه يكتب كثيرا ليجلوا الصدأ عن ذهنه ، وليبعد

عن قلمه الاسماء والاشياء التي يندفع لكتابتها وهي الدراسات والمطالعات ، والتي كثيرا ما تزاحمت في رأسه وتسابقت الي قلمه — يفعل ذلك لاجل ان يمضي في كتابة « قصة » يعلق عليها آمالا بعيدة ، فهو يكتب هذه الصحائف ليندفع قلمه بكتابة الاشياء التي حشي بها رأسه وتود ان تتسرب فيحملها تتسرب ويجلس لكتابة قصته فيكتب صفحات قليلة يمزق بعضها ويبقي البعض ، ثم يأخذ في تبييض ما كتبه ولكن الالم يأبى ان يفارقه ، فهو يتألم لانه رأى ان اطلاعه قد اساء اليه ، فهو يرى نفسه من الوجهة الصحية على غير ما يرام : ويرى ان قامته بها قصر وقد يبدو الصديق قصيرا ، ولكن ليس كما يتوهم وكما يخيل اليه ، فامثاله كثير ولكنه يتألم أكثر منهم ، لانه على ما يعتقد يشعر اكثر منهم بالنقص وهو يعزو قصر قامته لكثرة جلوسه في سبيل الاطلاع ، وأساء اليه الاطلاع لانه جعله ينظر لمهنته لا (كمثل اعلى) كما ينظر اصحاب هذه المهنة ولذلك فهم متفوقون عليه بعض الشيء ولولا ان له شركاء في هذا العمل لافلس بسبب هذا الاطلاع المستمر واحيانا يحنق على نفسه لانه يرى كل اخوانه وزملائه لهم (مثل اعلى) معقول يبلغه الكثير منهم اما هو فيصور لنفسه (مثلا اعلى) من الصعب الوصول اليه واساء اليه الاطلاع لانه كشف له عن دراسته الحقيقية وعن مبلغ ما انتهى اليه فرأى انه ليس بمحمد على ما وصل اليه — لم يطلع اطلاعا كافيا — ولم يدرس دراسة وافية —

ولم يشبع نهمة ولم يرو ظمأه من الادب كما ينبغي وكما يحب هو — أساء اليه الاطلاع لانه يجعله كوطني له كرامة يجب ان يذود عن وطنه ولكن القدر أوجده في وسط بيئة تحرم عليه ذلك فسائلته لجهلها تخاف من أتفه الاشياء حتى انهم يرون ان مجرد ذكر اسمه في الصحف كاف لان يجعل البوليس يفكل بهم ولم يوفق في جعلهم يتفاضون عن كتابته في الادب الا بعد ان افهمهم وشهدت الناس ان ليس في كتابة الادب خطراً وهو يرى انه خليق به ان يحنق و يتألم و يحزن لهذه الاشياء ،وللصديق رأي في الحب منه — ان التدلل والتخنث الذي يبديه بعض الشباب اليوم في الملبس والاغاني وغيرها ليس من الرجولة في شيء وهو يعجب من المحب الباكي ما يبكيه الأن حبيبته لا تحبه كما يقول بعضهم اذن لا معنى للبكاء ولا معنى لحبها ما دامت غير راغبة فيه،لماذا يبكي هل المرأة لا تحب الا من يسكب دمعه ؟؟ كلا فالمرأة ضعيفة لا تحب الا القوة — هذا هو خلاصة ما وجدته في هذه اليوميات التي تشمل حياة ثلاثة اعوام مضت من حياة ذلك الصديق .

فعسى ان يكون في الاعوام المقبلة احسن حظا واكثر توفيقا فيحقق بعض ما يريد ...

« ٠ » « ٠ »

صورة صديق ..!!

شاء الله ألا اعرفه الا في شهر رمضان وألا اصاحبه الا في هذا الشهر المكرم . عرفته وعرفت معه غضب العائلة ! فصاحبي كان جميلا ، وصغيرا ومن كانت هذه حالته أوجبت تقاليد دمنهور الا يصاحبه من يكبره سنا الا طعما في جماله ، ولما كانت اعمارنا تكاد تكون متساوية ، أذن فالتقاليد توجب الابتعاد عنه عملا بالمثل العامي « مايخسرش الجدع الا الجدع » ولكن كيف السبيل لأبتعد عنه وصداقتنا من ذلك النوع الروحي الذي لاأشك لحظة في ان ارواحنا كانت متصلة قبل ان يهاجر من سوريا موطنه الاصلي في ايام الحرب كنا نتفق في الميول والرغبات فصاحبي قارىء وانا قاريء وسبيل التعارف بيننا كان الادب ولا انسى اول يوم حادثني فيه و بيده مجلة بل لاانسى اول جملة قالها في هذا اليوم حضرتك ... فاجبته . نعم وحضرتك رمضان ... قال دونك ان هذه المجلة كانت قد اعلنت عن مسابقة زجلية يربحها ثلاثة اشخاص وكان من هؤلاء رمضان وكاتب هذه السطور و يأخذ الصديق في ابداء بعض الملاحظات فهذا الزجل كان يجب أن يكون الاول اما ذلك فكان يجب الا يربح الجائزة و يودعني بعد ان ابتاع منه شيئا من « البقلاوة » التي تركها على

احدى الوائد ولم يتذكرها الا وقتما ناداه احد الزبائن - يا رمضان - وبعد ان يمضي في سبيله اهم بالتهام البقلاوة فاذا معها زجلا يحي به الشاي الذي قدم اليه وتبدأ صداقتنا بهذا اللون الساذج ويكتب لها أن تطول رغم غضب الجميع وينتهي شهر رمضان ويرحل الصديق الى الاسكندرية حيث عائلته وتحل محله رسائله فنتلاقى على البعد ونتسامر رغم النأي ويأتي شهر رمضان فيأتي معه الصديق ووالده ونستأنف الحوار والنقاش فاذا برمضان قد امتنع عن الزجل وقراءة الزجل واذا به يقرأ الشعر ويحاول قرضه ثم يقدم الى اول « قصيدة » من شعره لاجد غضاضه في ان اشرك القراء معي واضحكهم كما ضحكت فأنني علم الله ماتذكرت الصديق وهو يلقيها حتى استغرق في الضحك قرأ قصيدة عمرو بن كلثوم

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

ثم بعد ان انتهى قال اسمع معلقة رمضان

افيقي من ثباتك ياأمينة وهاتي المرقسوس وناولينا
وخلي بسيرة الافرنج تشكو جفانا عند مسيو خر يستومينا

وعلى هذا الوزن مايقرب من الخمسين « بيتا » وينتهي رمضان وانا لا اكاد امتلك نفسي من الضحك فيقول اتضحك مني فاجيبه وخير الشعر مايضحك

فقال اظن انه لم يعجبك فاشير الى مجلة تكتب بيتا من الشعر

لاحد الشعراء البارزين ثم يكمل محررها كما يحب وأقول — ليس قصيدتك تتكافأ مع هذه القصيدة وما اظن الا شيطان محرر (الفكاهة) كان فى نزهة شيطانية واتى ليتقمص في صاحبه فاختلط عليه الامر وتقمص فيك ومضى فى الضحك ، وفي مساء اليوم التالي يحضر الصديق ويعرض على ابياتا لشاعر النيل

وخمرة قبل انهم عصروها من خدود الملاح فى يوم عرس

***

فاسقنا ياغلام حتى ترانا لانسطيع الكلام الا بهمس

وبعد ان ينتهى منها يقول اسمع يا .. عايزين الليلة نشرب الخمر

فاجبت ياه هل نسيت صلاتك وهل نسيت ان غدا رمضان فيجيب لقد حبب الى حافظ الخمر ولابد من الشرب قلت حافظ ياصاحبي يصف الخمر التي عصروها من خدود الملاح وهل عصرت لنا شيئا من خدود بنات سوريا أنا لا اوافقك يستحيل ان نشرب فوقف وقال اذا لم تشرب معى فسأشرب بمفردي — رأيت ان لابد من موافقته وان من الحكمة عدم تركه « لشيطانه » وافكاره فواعدته بعد ساعة وتركنى صائحا « بقلاوة باللوز » ليأتى بعد ساعة ثم ذهبت الى « بنى » جارنا فاتفقت معه على أن يذيب لنا قليلا من الشاى مع الماء ويضع السائل في زجاجة خمر وانا واثق ان رمضان لن يعرف « الفوله » فهو لم يشرب الخمر ابدا ولم يعرف طعمها

ذهبنا الى الحانة وأخذ كلما سكب كأسا يقول

فاسقنا يا غلام حتى ترانا لا نسطيع الكلام الا بهمس

ويرى الصديق انه قد ردد هذا البيت كثيرا فينظر الى الكأس الاخير ويردد قول شوقي

خف كاسا الحبيب فهي فضة ذهب

ثم ننهض ويمضي رمضان «ببضاعته» يتمايل كالسكران لانه يعتقد انه سكر ويقابلني في الصباح فأشرح له ما عملته مع ابني فيشكرني وتكون هذه الحادثة سببا قويا في تمكين روابط الصداقة

ويخيل لصاحبنا انه الان شاعر وان الشعراء مغرمون بالمناظر الطبيعية والانهار فيقترح ان نجعل ساعة من آخر النهار لهذه الرياضة يأبى في هذه الساعة الا ان يعيش في خياله الشعري — عند ما يرى سفينة قادمة

قال — تفضل يا . . . ان هذه البارجة اتت لتقلك فأجيبه — لا انها تنتظرك أنت، وأحيانا تكون المركب لصديق نعرفه فنتقدم اليها ويقسم الصديق لابد من ركوبي أولا . فأتمنع وأقول لا يا صديقي ان هذه البارجة اتت لك ارسلتها حكومة سوريا خصيصا لذلك لانها تود ان تحتفل بك لكبير شعرائها . وينتهي رمضان واذا بالصديق قد استأذن والده في ان يمضي العيد معي فنقرر ان نحتفل به في الاسكندرية بعيدا عن عائلته

« ٥ » « ٥ »

على رصيف محطة الرمل وقفنا فكان الناظر الينا يظن اننا من طلبة المدارس لصغر سننا ولملابسنا الانيقة ، كنت انا مندهشا من تلك المناظر فقد كانت هذه أول مرة ازور فيها عاصمة القطر الثانية فكان صديقي يقول الم اقل لك ان الاسكندرية ستدهشك هيا بنا فاقول الى اين؟ الى الامام الي الخلف؟ انسير على شاطىء البحر ، انجلس على الترياتون كلها مناظر تخلب الالباب ، جذبني من ذراعي فتبعته و بينما نسير بجانب البلفي واذ بسيارة فاخرة تر بعت فيها فتاة جميلة رشيقة بيدها مجلة فرنسية تسير الهوينا قال احدنا بلهجة صبيانية « فاضى يا اوسطى » وهى كلمة كنا نسمعها من اهالى دمنهور لم يكد يتم الجملة حتى تقف السيارة وتفتح الباب و بنفضة موسيقية « اتفضلوا » وقفنا كأنما تسمرت اقدامنا فى الارض « اتفضلوا » ركبنا السيارة وانطلقت بنا ولا تسأل عن الضجر و الكدر الذي احاط بجسو السيارة فالفتاة « مومس » وطالبة نقود ونحن طلاب خيال طلاب شعر طارت الاحلام اللذيذة ونزلنا من السيارة حانقين بعد أن نقدنا السائق نصف ريال وعدنا الى دمنهور ولم اشاهد حديقة الحيوانات كما كنت قدرت ولم اتنزه فى حدائق الشلالات كما وعدنى صديقي ثم يرحل الصديق الى عائلته وتتبادل الرسائل و ينقضي العام واذا بالصديق يحضر مع والده ثم يخبرنى انه امضى هذا العام فى قراءة الشعر والاطلاع على

الشعر وانه وعى المعلقات والم الماما كبيرا بشعر العصر العباسي وقرأ الشوقيات وديوان حافظ وأعلن لى اعجابه بمطران والعقاد الذى كان يقول عنهما فى العام الماضى ان شعرهما اعلى من القارىء وانه يتطلب لقراءته ثقافة ممتازة ثم يخبرنى ايضا انه قد أحضر معه عددا كبيرا من الكتب الشعرية وضمها خفية عن والده مع الدقيق الذى يصنعون منه الكنافة ويتكدر الصديق أول الامر لانه رأى انى تصاحبت مع أصدقاء وأن هؤلاء الاصدقاء على كثرة تخيفه وانه يخشى على صداقتنا منهم فاطمئنه وأعلمه انى وجدت ان هؤلاء عندهم ميل لابأس به لقراءة صحف القهوة ومجلاتها فاحتلت حتى استطعت ان اشركهم معى فى قراءة الكتب وانه سيرى من اخلاقهم واطلاعهم مايرضيه عنهم وعنى، نأخذ فى الحوار فيجد كل منا أن صاحبه قد تغيرت ميوله الادبية أما صداقتنا فيجد كل منا فى صديقه خير الصديق ولم تقو الميول والرغبات الادبية أن تقلل من صداقتنا ، وجدته لم يزل عند رأيه من حب الشعر والشعر فقط على حين هو يجدنى قد اعتبرت الشعر شيئا من اشياء يجب أن يلم بها القارىء وجد انى مع اصدقائى الجدد تدور كل أحاديثنا نحو الكتب الحديثة لكتاب مصر ونحو الادب الغربى قصصه ومسرحياته ثم هو لايقرأ فى المجلات والصحف الا الشعر بينما التهم أنا مافى المجلات من الادب بجميع انواعه وعلى الخصوص مايترجم لكتاب الغرب ولم ار بدا من

موافقته حتى لا اجعله يضيق بي فخصصنا يوم السبت لدراسة الشعر وان يكون يوم السبت للشعراء

يبدأ الصـــديق لعرض قصص شوقي و يأخـــذ في مطالعة « كليوباترا » والحق ان يوم السبت هذا كان اعظم ايام رمضان متعة فقد كان يمتاز بالجلبة والحركة تصور جملة اصدقاء شبان قد حفظوا القصة واخذوا في تمثيلها في « دكان الصديق » بعد أن يقفل بابها ثم تصور أحدهم يلقي

اما الشباب فقد بعد ذهب الشباب فلم يعد
و يحي امن بعد السنين وقد مررن بلا عدد
او بعد طول تجاربي ومكان علمي في البلد
نجني على الفانيات مالم تجن قبلي على احد

ثم ننسى واجب المثل والمسرح ونلبس ثوب النقد فاذا بأحدنا يقول ان شوقي ما اسلس له الشعر في هذه القصيدة الا لأنه يبكي شبابه الذاوي وان موسيقية هذه الابيات ترجع لكهولة الشاعر ولو كان قائلها شابا ما استطاع ان يقول ما قال شوقي ثم يطلب منا ان يقول هو هذه القصيدة على ان نردد نحن معه البيت الاول

اما الشباب فقد بعد ذهب الشباب فلم يعد

وكانت حالتنا في هذا الوقت لا تختلف في كثير ولا قليل عن منظر «الندابات» في الجنائز فقد كنا نلطم خدودنا ونحن نردد «اما

الشباب» .. ويمضي بقية الاسبوع في قراءة ما يقع في ايدينا والصديق حزين فلا يشاركنا لانه لا يقرأ الا الشعر ويأتي السبت الثاني فاذا بالصديق قد أخذ له العدة فاحضر بعض مقطوعات من الشعر كانت نشرت في الصحف ثم يشترط علينا ان يقرأ هو فاليوم يومه ونحن نسمع فيقرأ

قد كفكفت أوثران تقول رثائي يا منصف الموتى من الاحياء

ولكن ثورة الشباب لن تتركنا نتمم ونأخذ في النقاش ويقول احدنا لسنا بحاجة لسماعها فقد قرأناها انما نحن بحاجة لدراستها ونقدها ونمضي في تقليب البيت على وجوه عدة فيقول أحدنا انه لوفاء كريم من شوقي لصديقه حافظ. كان يود لو يفتدي به فيجيب آخر لا ـ انها انانية انه كان يود ان يموت ولا يضطر لرثاء حافظ. وتدور معركة كلامية لا تنتهي إلا برمضان وقد طوى الصحيفة واخذ في قراءة اخرى

بني مصر ارفعوا المنارا وحيوا بطل الهند

الي أن يأتي الي :

سلام النيل يا غندي وهذا الزهر من عندي

تحيات من الاهرام والـ . . . .

وهنا تبدأ الحركة ثانية فيقول صديق ومتى خول للشاعر أن يحيي الضيف باسم النيل ؟ فيجيب رمضان ـ انها رفعة من شوقي وخدمة

الاديب وحبذا لو عرفناها معشر الشباب فاعتززنا بأدبنا يقول شوقي سلام النيل يا غندي . ومن أولى من الاديب بالكلام نيابة عن النيل؟ من يقدم سلام النيل ان لم يقدمه الشاعر الا ان للشاعر منزلة رفيعة عرفها شوقي فحيا غندي نيابة عن النيل ليقول للشباب ان الاديب ليس كما يقولون بائسا وتعسا بل هو صاحب كل شيء ويقول

من المائدة الخضراء خذ حذرك ياغندي
ولاحظ ورق السير وراقب ورق الورد
ولاقى العبقريين لقاء الند للند
وقل هاتوا أفاعيكم اتي الحاوي من الهند

ويتوقف رمضان ليهلل لشوقي الذي وقف موقف الاستاذ الناصح لزعيم الهند ثم ينتهي منها ليقرأ فصلا من رواية « مجنون ليلى » ويشاء الله أن يقرأ تحريض منافس قيس الذي اراد ان يوقد الفتنة وان يجعل العرب تفتك بالمجنون ويأبى خبث احدنا الا ان يذكرنا بموقف انطونيو في يوليوس شكسبير ثم يوازن بين الموقفين في في خبث وغمز ينتهي بان يعترف الجميع خوفا من الشجار ان هذا من « توارد الخواطر » ويصمم رمضان على ألا يقرأ شيئا من شعر شوقي وحافظ وانه من الآن سيقرأ لنا المتنبي والمعري والبحتري وينقضي رمضان ويعاني الصديق انه استأذن والده في ان يمضي العيد معي فنذهب الى القاهرة ولم يفارق صديقي جنونه الشعري وابى الا

ان يحتفظ بجماله ذهبنا الى الاهرام وركبنا الابل ودفعنا الاجرة مقدما ثم اذا به يهمس فى اذنى سادعوك يا أمين بك وتدعونى بصلاح بك ولا تنس انى ابن الامير ..

حضرت خصيصا لزيارة الاهرام ، مناظر جميلة ياصلاح بك .. جدا يا امين بك ـ لا شك ان والدك الامير قدشاهدها ولذلك فهو حتم عليك زيارة الاهرام .. نعم ، ولكن دفعنا الثمن غاليا دفعنا اجرة الجمال ثلاث مرات الاولى عند « كركور » والثانية فى نصف الطريق اذ وجدنا الذى يتبعنا شخص آخر غير كركور لم تنفع معه محاولتنا وقولنا له اننا دفعنا مقدما اذ زعم ان الذى اخـــذ منا الاجرة لص وان الجمال ملـكه هو وفي رجوعنا تفقدنا الجمال الثاني فاذا الذى خلفنا شخصـا ثالثا واذا به يطلب الاجرة قدفعنا وكانت فى كل دفعة « ريال كامل » ونزلنـا من علي ظهور الابل وانا اقول هيا يا سمو الامير هيا يا امـير النكبات . ويأبى الامير تناول الشاى الا فى « مينا هوس » « يا أخى نروح لخان الخليلى » فيقول « هو احنا كل يوم فى مصر » والله لن اشرب الشاى اليوم الا فى مينا هوس شربنا الشاي ودفعنا ثمنه الذى يكفي لتناول الشاى شهراً فى مقهى بلدية وقلت « على فين يا سمو الامير » فيجيب « رويال » ونبارح السينما وسموه قد صمم على ان يشرب « الشمبانيا » يا رمضان فيقول — لا — سمو الامير ـ ياسمو الامير اعتقنا من الشمبانيا فيقول « هو احنا كل يوم فى مصر »

وفي الصباح نجرد الميزانية فاذا معنا ثلاثة غروش وأربعة ملاليم نغادر الفندق ويأتي الخادم ويقول شاي بلبن — فيقول رمضان لا سنأكل فولا ونأكل الفول ونمضي الى قهوة بلدية فنشرب كنكة بسكر ونجرد الميزانية باقي قرش واحد واربعة ملاليم ويصيح بائع الصحف الاهرام والسياسة والجهاد وا . . . فاناديه واطلب منه الاهرام والجهاد فيصرخ رمضان ـ تكفي واحده اليوم هذا ليس يوم صحف قلت لابد من الاهرام والجهاد على الاقل فيقول أنت لم تقرأ صحف الامس ملك الكوكب والبلاغ فاجبته اسكت ياصاحبي انسيت ان اليوم الثلاثاء والجهاد به صفحة ادبية فيها شعر فيقول تكفي الجهاد ولكني كنت اخذت الصحيفتين ومضى البائع ولاول مرة اعرض على صديقي الشعر فيأبى ان يقرأه ولاول مرة يعلم ان الغذاء خير من الشعر ونسير على غير هدي فاذا بنا أمام المحطة واذا بأيدينا ممسكة بالنصف الباقي من تذاكر العيد واذا بنا نحمد لمصلحة السكة الحديد حكمتها في جعل تذاكر الاعياد ذهابا وايابا وفي القطار يشرب الصديق بملاليمه ليموناده حتى ينسي لدغة الجوع الذي يداعبها و نأتي الي دمنهور رمضان و .. بعد أن غادرناها صلاح بك نجل الامير وأمين بك صديقه

بين الوظيفة والأدب (١)

تحية أرق من النسيم اذا هفا وشوقا صاخبا مثيرا الى جلسة من جلساتك الادبية اللطيفة حيث نتجاذب اطراف الاحاديث ونطرق مختلف الوان الدراسات الطريفة وانى لاازال اذكر تلك الجلسات التي ترف عليها اطياف اللذة الفنية الخالصة تلك التي كنا نعيش فيها بارواحنا نعانق الاخيلة الشعرية الجميلة والاحلام العذبة وذلك الحوار الطريف والدعابات اللاذعة والتعليقات التي لانهاية لها على انتاج الادباء فما يكاد الكتاب يخرج الى السوق حتى تتلقفه « المدرسة » كما كنا نسميها ونأخذ في دراسته دراسة عميقة تتصل بأدب الكاتب وثقافته ومدى تفكيره ومنحاه والفكرة التي عالجها ومدى توفيقه فى رسم شخصياته التى تحدث عنها وعاشت بين دفتى كتابه ان كان المؤلف يعالج القصة وكم كنا نسخر ونسرف فى السخرية اذا سف الكاتب او خانه التوفيق وقصائد الشعراء التى

---

(١) عند ما كان الصديق الكاتب الاديب محمود علوان باشمون . كنا نتبادل الرسائل الادبية فعلى ضوء هذه الرسائل ووحى الاتصال الروحى رسمت للاديب الموظف هذه الصورة فى قالب رسالة ؟

كنا نتناولها بالشعر والتعليق ونقارن بينها و بين ماقاله شاعراً آخر وكم كنا نعجب مما يسمونه توارد الخواطر ونسخر منهم ! ! نسخر من الفكرة التي نلبس عشرة اثواب ـ وابناء (المدرسة) من المتأدبين او الذين كنت تتنسم فيهم ميلا للثقافة فكانوا يجدون من حديثك الشيء الكثير فتمدهم بالكتب القيمة وتتولى شرح ما استغلق عليهم وهكذا كنت تنفث فيهم من روحك وكأنك تريد ان تخلق من كل من يعرفك او يصاحبك أديبا أو محبا للادب وهؤلاء الطلبة الذين كنت تجادلهم وسرعان ما يترسم على وجهك صور من الالم لهذا التعليم الناقص الذى لا يؤهلهم لان يأخذوا حظا من الثقافة بل كآلات في دواوين الحكومه ومداعباتك الطريفة فاذا سألك احدهم مجلة من المجلات التى تنشر الادب الغث اليسير دفعت اليه « بالرسالة » فلا يلبث ان يقلب صفحاتها ان يدفع بها اليك فى ملل ظاهر ... طالبا مجلة اخرى

كنت اود ان اكتب اليك الفينه بعد الفينه ولكن العمل وكثرته وتكريس وقتي وفاء له جعلني أنسى كل شيء وأضحى بكل شيء ولقد شاء الله ان تخرجني من عالمي الذى غمرت فيه من مقابر الاحياء التى وئدت فيها الى عالمك عالم الفن والجمال وان تكون يقظتى بعد هذا الحلم المزعج الذى طال مداه ... اكتب اليك وقد خلصت عنى هذا العالم الذى يحيط بى ويغمرنى ويجعلنى اتخبط على غير هدى بين حنباته . هذا العالم الذى استعبدنى وأحالنى الى رجل مادى الشعور

لا يفهم الالفة الماده والارقام والسجلات والمعاملات التجارية والتعليمات وصرفني عن جو الاطياف والخيالات الحالمة الحنون خلصت عن نفسي رداء هذا العالم لاهيم معك في سماء الخيال نحج الى معبد (ابولون) ونعرج على مدرسة ارسطو معلم الانسانيـــة الاول ونردد الانشودة الخالدة « المعرفة هي القـــوة » .. عالم الاسلوب وجماله والفكرة وروعتها والموضوع وحدته والقصة وحبكتها وتلوين شخصياتها لا كما عشت هذين العامين الذي أعتقد انهما ليسا من حياتي بل كابوس مزعج ثقيل . ولابد لهذا الليل المدلهم من أخر ... عشت لا اتحدث الا عن الحسابات والفوائد ... هي ساعات قلائل اختلسها من وقتي اعيش فيها لنفسي اغوص فيها باعثا الذكريات الحالمه والاحلام الذهبية التي تبددت على صخرة الحقيقة الصماء ، ساعات قليلة في حياة روحية اشعر بالنشوة تنساب الى نفسي فتسكب فيها راحة كتلك التي يستشعرها المكلوم بعد أن نفث عن صدره بدمع يرسله مدرارا ليزيل شجونه وبلابله . . .

لست ادري لم يبدو القلم حائرا مضطربا في يدي وقد عرفته مطواعا ولست ادري سر هذا الركود الذهني والقحط الوجداني والمسبغة الروحية التي تكتنف حياتي والاشباح السوداء والخيالات المؤلمة التي تجول برأسي وتحطم اعصابي

الجرس يدق والرئيس يرسل في طلبي مستفسرا عن عمل مصلحي

استغلق عليه ... اكتب اليك بعد مبارحتي لمكتب الرئيس ، و بعد ان قفر المكان من الملاء الذين يفسدون على تفكيري و يبددون كل رغبة فى الكتابة باطلاحهم وجلبتهم بسبب و بلاسبب المدة تناديني ولكنني ابي نداء عاطفتي التي تدفعني الي الكتابة اليك مزجيا اليك بعض ما يجول بنفسي ، اريد العيش بضع ساعة فى جو شاعري جميل ، فى حلم لذيذ مؤملا ان يطول والا تتفتح عيناي على الحقيقة المرة المقذعة

لطالما رددت علي مسمعك انه لو كتب لى الأستقرار فى الوظيفة لكان انتاجي وفيرا . . لعن الله الاستقرار ولعن الله الوظائف لقد صدق من قال ان الوظيفة والادب لايتفقان .. فالاديب يريد أن يعيش بروحه بعيدا عن القيود والاغلال التي يكبل بها الموظف حسبتها الحلم الجميل ولكن الحقيقة صدمتني سافرة ورأيت العالم في ثوبه المارىء ، فى ثوبه الحقيقي فى غير مازيف أو رياء . .

تبدد الحلم الذى لم يدم أمده ولا تنس أننا نشأنا فى دمنهور مهد الاعمال الحرة والعصامية بعيدين عن الوظائف والموظفين فكنا نخال الوظائف النعيم المقيم ... فاذا هى الرياء والنفاق فى ابشع صورة ، لا تستطيع ان تجهر برأيك وتعبر عما يخالجك والا عرضت للتنكيل والعذاب ، وزملاء لا تربطني بهم رابطة ثقافة أو اتصال روحي بل كل منا فى واديه ... ، فرئيس مغرور رفعته الاقدار القاسية الي منصبه

وصله عن الطريق المحسوبيه ، تخاله وهو يتبختر بينناو كأنه جمع الدنيا والدين بين برديه ، والزملاء الذين لا يطيب لهم العيش الا فى جو مو بوء سام يكاد يخنقني يعيشون للدس والايقاع واختلاق الاكاذيب والمفتريات ينسبونها الي زملائهم علهم يصعدون على اكتافهم وما علموا ان الدس الحقير دليل الخذلان وسلاح مفلول لا يلجأ اليه الا كل نذل جبان مفلوك وانه لتحضرنى صورة جان سرفيان وكيف تجمع زملاءه على الكيد له عند رئيسه تلك التى ابدع اناتول فرانس فى رسمها ، فاذا ما هدأ كل شيء الا من فرقعة الآلة الكاتبة ارتفع صوتى مرددا

ومن نكد الدنيا على الحران يرى

صديقا له ما من صداقته بد

غير انى وجدت نفسى فى حل من ان استبدل كلمة الصديق والصداقة بالزميل والزمالة ، انه مما يؤسف له انى لم اجد بينهم من يستحق ان اتخذه كصديق ... بجوارى زميل يبدو بوجهه الاصفر الكالح وجفونه المنتفخه وجسمه النحيل كموميا ء وقد زاد الله فى بشاعته فارتسم على وجهه علامات الدس والمخاتلة والافتراء هذا الذى اصطلحنا على تسميته (باخناتون) يكاد يعد على انفاسى ويجول بعينين كعينى دب قذر تختلس النظرات يريد ان يقف على ما اكتب عسله يجد مادة لدسه يلصقها بى ، فأنى انا من الخيالات الحالمة والروح الشاعرية

والنفس الرحبة الطروب التي تنطلق الى غير غاية تبحث عن الجمال الروحي والفكري ، عن لذائذ الحياة محوطة بجو من البوهيمية

لست ادري بأي لسان أشكرك على اتاحتك لي هذه الساعة الحلوة التي ذكرتني فيها باستاذنا طه بمناسبة تهكم ذلك الشاعر الذي ينشد بلغة الجاهلية لقد اغرقت في الضحك حينما قرأت ان هذا المهرج يهيب على استاذنا طه اعجابه بالشاعر الكبير عباس محمود العقاد واطرائه لشاعريته الممتازة ولكنها الاحقاد ... أرغمني زميلي على مرافقته للعشاء ولكنني لن ارسل لك خطابي قبل ان انتهي منه لان هذا لا يكفيني ...

هأنذا اكتب اليك وقد لاح النهار وارسلت الغزالة اول خيط من خيوطها الذهبية اكتب اليك مختلسا النظرات للشفق الوردي يعانق اشجار السرو الطويلة التي تحيط باشمون . في هذا السكون الشامل تذكرتك وتذكرت رسالتي التي لم اتمها ... ها قد بدأ النشاط يدب في الكائنات المستكينة التي خلدت الى الراحة بعد العناء وقد بدأت الطيور تهجر اوكارها ترقزق في نغمات رائعة تثير الحنان وحالم الذكريات في النفس ... اكتب اليك وقد تصاعد الدخان من كوب الشاي فامتزج بدخان أخر لفافة تبغ كانت معي وها هو ذا الدخان ينطلق ليعقد شبه اكليل فوق الجمال الماره من تحت النافذة تحمل عنوان ثروة مصر ... قد كنت أؤمل ان اكون سعيدا في

ظل الوظيفة وقد حسبت الاستقرار خير وسيلة لبناء مجد ادبي ولكن خابت الامال، وتحطمت الاحلام، على صخرة الوظيفة .. كنت اتبرم بالحياة البوهيمية التي كنت احياها وكنت اعدها مرتدة صاخبة لاهية لاتتيح العمل والانتاج القيم ولكنني ايقنت انها حياة الفنان التي تطيب لها نفسه فقد حسبت حياة الدواوين فوضى متسع للكتابة والاطلاع ولكن تصور موظفا يضطر ان يعمل للصباح في مكتبه وهل ليوم يمينا لا، لقد استمرت هذه الحالة ثلاثة اسابيع .لقد قست الحياة بشكل بشع يثير الألم في النفس وتلك هي حياة الموظف في بنك التسليف ولكن هناك انوار قدسية ترسل شعاعها فتنير ظلمة نفسي وتبدد اليأس الذي بدأ يتسرب اليها تلك الانوار هي رسائلك والمقتطفات التي تقتطفها من الصفحات الادبية التي تشترك في تحريرها وترسلها الي

استقبلت رسالتك الاخيرة بنفس مفعمة بالسرور وصاحبتك في الصباح والمساء واذا ما سكن كل شيء ، وسط ضجة اهل الريف في البنك ، في ساعات السكون السحري الذي يغمر اطراف اشمون صاحبتك في مختلف هذه الاجواء علني اتمكن من الكتابة اليك كتابة ترضي هوايتك ورحت اتصيد لك السقطات اريد ان احوز اعجابك وحتى ادخل السرور الي نفسك ولتعرف انني ما زلت كما تعرفني اتذوق الادب الرفيع ... صاحبتك حتى ضجر صاحبي الذي زاملني في العمل والمسكن وحتى ظن ان هذه الرسالة التي اطويها وما

البث انها نشرها وحتى تسرب الي نفسه من كثرة طى الرسالة ونشرها انها رسالة من فتاة وانني رغم ملى الكثير احيى حياة عاطفية .. حر قلبي ما أبعدني عنها اليوم

احب ان اعيش معك في هذه الرسالة طويلا ولكن آه من العمل وكثرته انه يباعد بيني وبين المتعة الروحية ، آمنت بقولك الذي كنت دائما تردده عند ما يلح عليك نداء العمل « ان شر المساجين سجين الفكرة »

اكتب الى كثيرا وبخاصة عن الصور التي تعاقبت على القهوة بعد سفري لأقف من خلال سطورك على الآراء المتنافرة والنفسيات المتباينة فأضمها الى تجاربي ....

اكتب الى كثيرا لتتمثل نفسي من هذه الوحدة التي تتردى فيها ... والى اللقاء ..

سلة المهملات ..!

قصة رمزية

تصور ما يعانيه أدباء الشباب وما تقابل به عصارة قرائحهم

« المكان — غرفة رئاسة التحرير — مكتب فخم »
« بادواته — كرسي المكتب لم يشغله أحد — الجو هادىء لا »
« يعكره الا حفيف الاوراق التي تصح بها سلة المهملات »

سلة المهملات متبرمة — اما كفا كن لفظا ومطاحنة ايتها الوريقات البذيئة . دعوني استقبل الورقة الآتية . لقد كنت براحة ايام المحرر الاول اما الآن والمحرر الجديد لا يعترف باصحابكم كأدباء ولا ينظر الا الى الامضاء فما اشد تعسي وما اكثر تعبي من لجاجتكم . ها كن رسالة من اديب مغمور يفاضل بين المعري ودانتي ويتحدث عن رسالة الاول وجحيم الثاني منتصرا للرسالة ومؤيدا ذلك بالادلة الملموسة وقد ارفق رسالته بفصل من كتاب له تحت الطبع بعنوان « الجنة الحديثة » واشهد انه اتقن الحوار الذي دار هناك بين شوقي وحافظ وتفنن في ابراز صورة واضحة للاستاذ محمد عبده بين فيها كيف كان ترحيب الشيخ بالشاعرين وها رسالة اخرى لكاتب ليس له

حظ من شيوع الاسم كتب فيها عن القرآن وعن تقصير الازهريين والادباء نحو القرآن تحدث فيها عن « آية » اراد لاستدلال بها على ان القرآن دين عمل ومدنية وكتاب درس الاجتماعيات ولم يقصر على الروحانيات وهذه الآية هي (وهزي اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قال فيها ان الله حض على العمل ودعا اليه حتى امر « مريم » وهي أفضل « نساء العالمين » وفي حالة لا تسمح لها بالعمل ان تعمل وقال لها ان الرطب لن يتساقط حتى تعمل — وهذه رسالة اخرى من أديب شاب يعيب فيها على الادباء تأثرهم بمن يقرأون لهم من علماء الغرب ويشير فيها الى ان هذا ادبه يدعو الي القوة لانه متأثر (بفيتشه) وذلك لانه قرأ وسمع (بيتهوفن) يلحن الموسيقى المصرية والغناء العربي وفي آخر المقال يعيب علي ادبائنا استشهادهم عند ما تعوزهم الحجة بكتاب الغرب على حين انه يوجد لاعلام العرب ما يتفق ويؤيد فكرته .

(تسكت السلة وتهدأ الاوراق قليلا ثم تعود الى حفيفها وضجيجها)

السلة — ألا زلتن في ثورتكن . اظن ان هذا الدش البارد كفيل بأن يجعل للهدوء سبيله . هذه رسالة من الاستاذ الجليل (. . .) وما اظن الا ان المحرر قد اختبل عقله فاشر بالقلم على رسالة شاب ورمى بهذه

« نزلت الورقة هادئة ساكنة واحتلت مكانا في السلة واحتراما

لوقارها وصمتها سحكتت الاوراق عن الضجيج

« ٠ » « ٠ »

اشتد الحوار ثانيا بين الاوراق على اثر ورود رسالة جديدة كتب صاحبها في المقدمة يقول (ارى ان لا بأس علينا من ان ننهل من علوم الغرب وان نتثقف بادبه وان نطرب لموسيقاه وان نحاول الاستفادة من افذاذه . ولا ضير على القومية من ذلك لان هذه الفنون لا تعرف وطنا . والرجل الفنان ليس له بلد بل هو يؤدي رسالته فيجب ان يقابل بالترحيب من قومه ومن غيرهم)

احتدم الجدال اولا بين هذه الورقة وبين الورقة التي تقول بعدم الاخذ عن الغرب وما لبث النقاش ان عم الجميع وتحاول السلة ان تهدأ تلك الثورة ولكن لا سبيل الى ذلك . واتت ورقة اخرى فساد الهدوء وذلك لان المبدأ الذي يعملن به هو الانصات لقول الورقة القادمة وجعل الكلمة لها

الورقة الجديدة — هاها .. ها .ها

ورقة اخرى — ماذا جرى يا صديقتنا الجديدة الورقة الجديدة هاهاها — من منكن قرأها المحرر . صمت . تتابع الورقة حديثها ضاحكة — هاهاها . اما انا فأقسم انه قرأني واشهد انى قد حظوت بكل شدة العالم . ونظرت الى أعبس وجه وذلك عند ما كان كاتبي يملأني .. ثم تبدلت حالتي فلقيت من الضحك اكثره ومن السرور

امتحـــه وذلك انني كنت آخر ورقة وردت المحرر فأراد ان يقرأني ليوهم نفسه انه قام بواجبه وليرضي ضميره الى ان وصل الى

« .. ارى الموسيقى تنبعث من الراديو » فقال ـ اول القصيدة كفر لم لا يقول اسمع الموسيقى

وعاد الى القراءة « وكانت الموسيقى تشاركنا فرحنا والراديو يبارك حبنا ، فسمعنا هذا الدور الخالد « في ظل الحب »

وعندما انتهى الى « في ظل الحب » قال لشـــد ما تؤلمني هذه التعابير الغريبة وحركني باصابعه وقرأني الى النهاية ثم صدم باسم كاتبي فاذا به غير مسموع فقذف بي اليكن واخذ يعيد ارى الموسيقى « في ظل الحب » ليثبت لنفسه انه أدي واجبه حيال الشباب ولكنهم هم المقصرون

وعادت الورقة الى ضحكها فتكاثرت الضحكات ولم يمتنعن عن ذلك الا بهبوب ورقة الاستاذ الجليل (...) قائلة ـ اقترح عليكن ان تذهبن الى « الرئيس » لشـكوى ذلك المحرر ـ توافق الاوراق وتنهض حتى يصلن الى الحافة وهنا يأتي الخادم فيأخذ السلة ليلقي مابها

على طريقة ...

المازني ؟؟

شيخ بين الفتيات ...

(اتجاه جديد في الادب العربي، ولون حديث في تقديم عرض آراء الادباء)

نحن في الثامن من يؤونه (معذرة اذا كنت نسيت التاريخ الافرنجي فانا لا اذكر إلا بؤونه وقبطه)

الساعة السادسة مساء (اظن لا حاجة لمعرفة الدقائق) ارسل النسيم بشائره فداعبت اوراق مكتبي المبعثرة ورأيت من حقي وقد كتبت الفصل الذي تطلبه الصحيفة أن اغادر المكتب ، وشارع المكتب

إلى أين ؟؟ هذا ما اربكني !! يا ويل من تكون حرفته (الادب) لو كنت ابيع طعمية لوجدت آخر الاسبوع مبلغا يكفي لركوب قطار البحر وقضاء يوم في سيدي بشر ..

إلى أين ؟؟ الي حديقة عامه .. أمرى الى الله !

« ٥ » « ٥ »

أخذت مقعدي ورأيت ان ابدأ بالتريح عن انفي ! اغمض عيني

وأنسى جسمى ، وأشرد روحى ، ثم افتح خياشيمى ، حتى اذا انتهى الانف من رياضته امتعت بصرى ثم فمى فأذنى وهذه طريقتى فى فى رياضة اعضائى . ولكن (لا بد من و .. لكن والا أفلس الادباء) ولكنى سمعت ورائى حديثا ! فاذا بالأذن تخرج عن وقارها وتنصت والعين تحاول ان تتعدى على ما قدرته لها من الاغفال وتنظر الصوت ناعم رقيق يجرى كالغدير الرقراق فى تدفقه و .. لكن فيم يدور الحديث ؟.. نحو جالسورذى . وقصص جالسورذى قلت لنفسى قاتلكن الله . اما كان اولى لهذا الصوت الشجى ان يتحدث عن المساحيق . وصيد الهرم وازياء باريس . ثم ماذا . سمعتهن ينتقلن من حديث الى حديث بخفة الماء وطاب لهن ان ينقدن أديبا مصريا . قالت صاحبة الصوت الناعم : لقد آلي على نفسه الا ينشر شيئا حتي يتحقق ان هذا الشيء ينقص الادب اذا استبعد ؟ فاجابت اخرى : حسنا وهنا سمعت صوتا كهواء المر يقول . يالله من خادع . وهل زجاج النافذة والطربوش ومحاولة كتابة صفحة في الف حول الموضوع ولا يلج بابه مما يزيد فى الادب .. وهنا او " وعندئذ " خرجت جميع الاعضاء عن وقارها ، العين نظرت ، والاذن سمعت ، واليد تحركت لطمها « اعنى المرأة الثالثة » ولكن امسكت ضنا ان يقال جنسى خشن وربما كانت حركتى ايحاء للفتاة الاولي فانها قالت ! وما بدر يك ياسيدتى ـ لعل هذا الفصل ان يكون تجديدا فى الادب

ضحكن وقالت الثالثة : « واشباح لبنان » فتراجعت قليلا وقلت اليس الاولى ان تتحاورن فى تزجيج الحواجب وغمزات السينما ! فأجابت بسرعة : كان الاولى ان لا تتشبهوا بكتاب الروس مع بعد المدى بينكم و بينهم

ذعرت وقلت : ومن انبأك بهذا التقليد

اجابت . اقاصيص كثيرة امتلأت بها الصحف والمجلات !

قلت : وعلى فرض ان هذا صحيح . اليس تشبهك بجاربو ومحاولتك فى تقليد رشاقة ديتريش اشق من تشبه كاتب بكاتب وادعى منه الى السخرية ؟!

قالت: على رسلك ليست المسألة كاتب وكاتب ولكنها ترجنيف وتشيكوف ، وجوركي ، وجوجول ، و بشيف ، ومارك توين ، و... فقاطعتها وقلت ! لقد بدأت افكر . لا استغفر الله . لقد تكونت لدى فكرة هى ـ ان من الخير ان لا تتعلم الفتاة المصرية لأن دراستها السطحية تسىء اليها ..

قالت الاولى : رويدك فالمتعلمة تجعل منك عدة رجال ـ رجل للمناقشة الادبية وثان للسياسية وثالث للحديث عن السينما وتقعد رواياتها ورابع ..

قلت : انت طيبة ـ الا تعلمين ان من الخير ان اكون رجلا واحدا

قالت : انها تعينك على معرفة نفسك !

قلت : لقد اعيا ذلك سقراط ؟

قالت : لا يضيره ذلك فهو صاحب فكرة كان يرجو أن يحققها من بعده

قلت : لنمسك عن الفلسفة تحدثي يا آنستي عن الادب .

قالت : لا تذكر الادب فما رأيت من يحب الادب للادب ولكنه محبوب هنا للشهرة والثراء

قلت : عافاك الله . الشهرة والثراء . نحن نا كل فولا دون أن يكون على المائدة كرات و بصل

قالت : انه ذنبك ـ لم لا تكون لك حرفة جانبيـــة للعيش اذا كنت تحب الادب للادب

قلت : حتى التي تركتها في المنزل تقول كل صباح « الله يتوب عليك من القلم » فكلكن حواء واحوا كن المتعلمة المثقفة التي تصد عن الادب . تتوهم انه جنة ثانية فلا ترتاح حتي يغادرها آدم

« ٠ » « ٠ »

وساد صمت هادىء ، ولكن أنى للثرثارات أن يحببن السكون

قالت الثانية وكانت لم تشاركنا الحديث : اليس من حديث غير الادب ؟

قلت . هذه رغبتي .

قالت الثالثة . و يحك أن قلبك كبير

قلت . ماذا تعنين ؟؟.

قالت : يقولون ان القلب يصغر مع الجسم

قلت : إلا قلب الشعراء !!

قالت : وهل سيدى شاعر ؟؟

قلت : كان شاعرا !

قالت : والآن ؟؟

قلت : يعيش على وحى « كان »

« ٠ » « ٠ »

استأذن ثلاثتهن في الانصراف للذهاب الي السينما بعد أن وجهن الى الدعوة و .. لكن آثرت عدم النهوض بدعوى ضعف فى الساق حتى لا تبدو « قامتى » القصيرة البغيضة التى تذكرني دائما بأن الله كان يريد أن يخلقنى قردا ولكنه عدل

وبارحت الحديقة وأنا فى حيرة : أصحيح ان قلبى كبر !!

« ٠ » « ٠ »

قديما كانت المرأة سر فلسفة سقراط ومحاولته معرفة نفسه فهل تكون سببا فى رجوعى الى الشعر وبحثى عن قلبى ..

آدم وحواء !

ابتكارات جديدة في عالم الأقصوصة

« كنت جالسا في الصباح و بصحبتي العقاد الشاعر »
« اقرأ قصيدة (المعري وابنه) وما انتهيت منها حتى اتى »
« الصديق (صلاح) وأعلمني بأن اختاً له فارقت الحياة »
« على أثر نظرتها الاولى لها ـ فقرأت ثانيا العقاد فخيل »
« الى ان ابن ابي العلاء يحادث اخت الصديق . . »

ابن أبي العلاء — ايقنت الآن أن ابي كان خيرا من ابيك ؟ كشف عن بصيرتي الغطاء وارانى الحياة على حقيقتها ففضلت ظهره على النزول اليها ؟ ألم أقل لك ماقاله ابي لي ؟ لكنك كامرأة لن تؤمني بالواقع وكامرأة تودين ان تلمسي النار ولو لسعتك جذوتها كامرأة تعتقدين أنك أقدر على الاغواء ولكنك في الحقيقة ضعيفة عن الاغراء . اذا كان هناك اغراء فهو من الرجل يستمتع بجمالك ويوهمك أنك أغريتيه حتى يفوز برغبته فينبذك ، الرجل هو القادر على الاغراء ـ لم تسمعي الى ولم تقدري نصحي وفضلت أن تشهدي الحياة فما الذي أتى بك سريعا ؟

اخت صلاح — رويدك يا صاحبي الا تعلم اني شاهدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع ! لقد اختبرت الدنيا فلما لم ترق لي تركتها غير آسفة ..

ابن ابي العلاء — ما كان اغناك عن هذا لقد دفعت الثمن غاليا سيكون مأواك القبر وستصحبك الديدان والحشرات وسيأخذ جسدك طريقه الي البلى والاضمحلال . اتذكرين اني احسن منك حالا ؟ قبري ظهر ابي ، ابي يدفع عني الحشرات ، ابي يفني جسده واظل انا كالجوهر المكنون فيا لشقائك

اخت صلاح — اتذكر اباك ؟ هل تجهل يا صاحبي اني قدمت بواجبي نحو أبي ففارقت الحياة على عجل وقبل ان أدنس حتى يتقبلني الله « كتكفيرة » طاهرة عن ابي فيغفر له ، الا تعلم اني كنت اشجع منك في استقبال الخطوب واني وان كنت امرأة افضل ان يبقى جسمي جميلا فلا يتناوله الدود ولا يشوبه تشويه الا اني ضحيت به بل ضحيت بأثرة المرأة وانانيتها في سبيل تخفيف العذاب عن ابي ؟

ابن ابي العلاء — يا لله أ أمرأة هذه ؟؟

اخت صلاح — نعم امرأة ، ولكن لم يحتل الشيطان قلبها امرأة ولكنها ذات نفس نقية بريئة لم يفسدها المجتمع ، نعم امرأة وان كنت تعجب من تضحيتي فلا عجب ! جسدي الذي ضحيت به لم اسمع من رجل انه يريده ، لم أتلقن بعد ان امرأة الدنيا ليست

بذات خطر ان لم تكن مملوءة غرورا وانانية واعلم يا صاحبي انني كما قلت لك قد شاهدت ما لم تشهد

ابن ابي العلاء — ليتني كـ . . . « صوت داو »

ولدي انني ابوك الرحيم انا بالعيش يابني عليم

لا تصدق مقالة من بعيد

اخت صلاح — ها ، هاها . انه يغرر بك لقد شاهدت انا ما كنت تود ان تشاهده وأباه هو عليك اتذكر ما قلته له

ما الوجوه الحسان ؟ ما الغوار ؟ — ما الدراري ؟ ما الفلا ؟ ما البحار

ان دأب الوليد حب الحديد

لقد نظرت انا الى كل ذلك

ابن ابي العلاء — ابي . ابي اريد . ابي

حدثونا عن الحياة العجاب فلهجنا بحسنها الخلاب

وظمئنا لحوضها المسورود

« صوت يدوي كالرعد »

هي المرأة لا تؤمن يا بني بقولها ، هي التي لو لم تكن ضعيفة امام اغراء الشيطان لصلح كل شيء ، هي المرأة اغراها الشيطان فهي تود ان تنتقم من العالم على طريقة الشيطان

قف بباب الحياة لا تدخلها واعتصم يابني ما استطعت منها

صوف القالك فانتظر بالوصيد

حياة الظلام ؟؟

أخذ صديقي أمين الكاتب بالمستشفى الاميري يقص على نبأ « مومس » شعرت بمرضها فآثرت ان تأتي الى المستشفى باختيارها رغم ان الطبيب قد اكتشف عليها أمس مع كثيرات من المومسات ولكنه من أجل ذهب صاحبة الدار لم يشأ حجز أذاها عن الرجال. ثم أخرج من جيبه صورة صغيرة عرضها علي وهو يقول — هذه المرأة ذات ضمير حي ابى عليها ان تنفث سموم مرضها في طلاب جمالها.

نظرت الى الصورة فعادت الى ذكريات بعيدة العهد وتراقصت أمام عيناي مشاهد حدثت لي ... انها هي !

كان ذلك منذ عام في ليلة انتصر فيها الشيطان وتوارت الفضيلة لتبرز الرذيلة وقوي الشر فاندفع وضعف الخير فانكمش ، واختصارا كانت الليلة للشيطان . ولم أدر إلا وانا قد شربت حتى ثملت وقادتني قدماي الى منزل من الدور التي تتولى بيع الهوى ثم اذا بي امام واحدة من النساء اللاتي قال فيهن هوجو « لسن من العذارى ولا من الامهات » . كانت جالسة تقرأ وبحركة آلية التقت الكتاب وخفت لاستقبالي . نظرت اليها ثم الي الكتاب ، رشيقة أنيقة . بريكليس . لشكسبير — نظرت ثانيا . جميلة صغيرة ، بريكليس شكسبير ، طارت الخمر

وبدأ الضمير يستيقظ وأخذ يؤدى عمله بعد ان كادت تنتصر عليه رغبات النفس فما زال يلح فى الظهور حتى عدت الى حالتى الباكية التى أحاول أن اغالط نفسى باندماجى فى أنوار الملاهى

قلت — جميلة وهاوية أدب و بنت ليل ؟؟

فأجابت — أما الجمال فعامل من عوامل النكبة وأما القراءة فقد عشقتها هنا اذ اتخذتها وسيلة لنسيان ركلات السكارى ونداءات السفلة ولذتي بها تتضاءل أمام شقوتى حين أرى نفسي مصورة فيما اقرأ ؟

قلت — لعلك تحاولين ان تكونى كفتاة بريكليس؟

فقالت — ان فتاة بريكليس كانت تعيش فى خيال شكسبير الذي اراد لها ان تكون مع ملائكة يستطيعون ان يفهموها اما انا فأعيش فى الارض مع الآدميين — طفرت من عينى دمعة لم اقدر على منعها رغم اننى حملقت فى الحائط بشدة وقلت

— هل اعتدى على عفافك فأثرت ان تكونى للجميع ؟

فأجابت — لا — لم اقف هذا الموقف إلا بعد زواج لم تكن لي يد فى انفصام عروته

داعبت عينى دمعة اخرى ابت ان تسقط حتى ترى زميلة لها سالت على جبين المرأة وقلت ... وكيف سمح الزوج ان يتنازل عن هذا الجمال وصاحبته لم تبد رغبة فى الانفصال ؟

فقالت — امى وامه هما سبب هذا الشقاء !

ثم اجهشت في البكاء ودق جرس معلق في الحائط فطلبت مني الانصراف

قلت ـ ولكن لم اعرف بعد السبب؟

قالت ـ ان دق الجرس معناه انتهت ساعتك واذا لم تدعني سينزل بي من العقاب مالا تتصوره

قلت ـ عقاب ؟

فقالت ـ نعم ان « لصاحبتنا » فنونا في تعذيب من يوقعن سوء الطالع في حبالها . منها ان هنا رجلا من متشردي الاجانب كل نساء الدار يعتقدونه لفظاظته وقسوته مهمته ان يقضي ليلته عند من تثبت عليها تهمة « زيادة الوقت »

فنهضت مذعورا ابغي الخروج ولكنها استوقفتني وعبثت في درج ملابسها واخرجت كراسة صغيرة ناولتني اياها وهي تقول ـ خذ ستعرف كل شيء !

« ٠ » « ٠ »

مات والدها وهي تستقبل العام الثامن من عمرها ولم يترك لها شيئا تستعين به في الحياة الا عملا حسنا كان قد قام به لصديقه الشيخ ابراهيم .. كان من اثره ان انتشله من الأفلاس الذي يمد يده اليه وابى الشيخ ابراهيم الا ان يكون شهما وان يرد الجميل فتكفل برعاية الفتاة وتولي امر معيشتها وتعليمها الى ان نجحت في امتحان الشهادة الابتدائية فتركت المدرسة لتعيش مع امها المحاطة بسرب من النساء

الجاهلات وانتهى امرها الى ان تتأثر بكثير مما يروونه — فهذه لم يقنع زوجها عن ضربها إلا عندما تشنجت وأوهمته ان (عليها اسياد) يأبون عليه ذلك . وتلك لم يأتها الثوب الجديد إلا عند ما اخبرت الزوج ان (اللي عليها) يود ان يرتديه . وثالثة تتحدث عن الميت فلان ان جنازته كانت ساهية فلا لطم ولا صياح وذلك لقلة النساء لأن قريباته لا يحضرن فى جنازات الغير وغيرها لم يبادلها زوجها الحب إلا بعد كتابة ورقة عند الشيخ ..

وشاء الله ان تتحدث النساء بجمالها وان يبلغ هذا الحديث ذلك الذى أراده القدر ليكون لها زوجا فلم تكد تودع عامها السابع عشر حتى كانت زوجة لشاب كريم الاخلاق لطيف المعاشرة بلغ من عطفه عليها وحبها له ان حزنها كان خفيفاً على موت الشيخ ابراهيم... الذى كانت لا تعرف لها اباً سواه . عاشت مع زوجها في هناء خمسة اعوام ولم يكن هناك ما يعكر صفو هذه السعادة إلا انها لم ترزق أطفالا . ولكن متى تعلم القدر أن يسير على وتيرة واحدة ؟ ومتى ترك الدهر اناسا يعيشون فى هناء ؟ ان القدر وهبها هذا الزوج الوديع لتكون مصيبتها فى الابتعاد عنه عظيمة والايام أخلصت لها هذه الفترة لتكون ذكرياتها اليمة . نعم انه لم يكن يفكر فى الاطفال وانه كان سعيدا بها . وكانت سعيدة به ولكن ذلك لم يرض امه فهى تود ان ترى له أولاداً

انها لا تزال تذكر هذا اليوم الذي استيقظت فيه في الصباح فرأت بجانبها ثعبانا هائلا فتأخذ في الصراخ ويشل الخوف حركتها فلم تقو على مغادرة الفراش ثم انها تذكر كيف قالوا لها بعد ذلك ان ام زوجها قد فعلت ذلك لأنها سمعت ان هذا الفعل الذي يخلع القلب يجلب الرعب وان الرعب وسيلة لأجل ان تحمل

انها لا تزال تذكر تلك الليلة التي تآمرت فيها امه مع اخته الكبرى على ان يأخذانها في الغد للمقابر ولا تزال تذكر امه وهي تقول لأبنتها قد اتفقت مع الحفار على أن يفتح المقبرة . نضع على وجهها كمامة ثم تنزل فلا ترى امامها شيئا حتى اذا كانت من داخل القبر نادي الحفار فترفع هي الكمامة فترى رفات الموتى وعظامهم لقد قال لي الشيخ .. ان هذه خير وسيلة نفعلها لها

يا الهي لقد حسبت انني نائمة ولكني سمعت كل شيء وتذكرت كل شيء . تذكرت الثعبان فكنت انظر امامي وخلفي هالة خيل إلى ان رفات الموتى تتراقص امامي وان جماجمهم تحادثني . لا .. لن أذهب ولكن زوجي لن يستطيع مخالفة امه في شيء . يا الهي . ثم انها تقول اذا لم تأت هذه التجربة بفائدة سأزوج احمد بغيرها انها لن تنسى هذه الليلة ابداً تذكرت نساء منزلها القديم وأحاديثهن فأتى احمد بعد منتصف الليل من عمله فاذا بها تتشنج وتتصنع الارتعاش ثم ترتمي على الارض وتأخذ في الأتيان بحركة جنونية ثم يأخذ فمها في الحديث

وتجتهد فى تغيير صوتها وتدعى ان عليها شيخاً من نجد لا يحب زيارة المقابر . انها لا تزال تذكر ذلك الزوج وهو يقول « اختشى يا زينب انا لا اعترف بهذه الفاريت . يا زينب انك تخدعين نفسك » ولكنها لا تزال تذكر ايضاً ان خديجة قالت ان زوجها قال مثل هذا الكلام تماما فى المرة الاولى إذن لتتمم مثل الدور ولكنها لم تر زوجها جاثياً بجوارها مستعداً لتنفيذ رغباتها بل انهال عليها ضرباً بعصاه ولم يكف عن الضرب حتى صرخت بعدم وجود شيوخ ولا شياطين وحتى أقسمت ان لا تعود لهذا العمل

وعلى أثر تلك الحادثة لم يعد احمد ذلك الزوج الوديع المحب بل استحالت وداعته الى قسوة وحبه الي كراهية وأبى ان يغفر لها هذه الزلة ورغم انه عاش معها بعد ذلك ثلاثة اشهر ولم يذكرها بما فعلت إلا انها شعرت بأن ثقته فيها قد تضاءلت وأصبح ينظر اليها كخادعة كاذبة . كثيراً ما كان يقول ان النساء ناقصات عقل ودين ولكنه أبى ان ينطبق عليها تلك النظرية كأنها من غير طينة النساء . ذكرته بأمه وشبان امه وان خدعتها قد تكون أخف وطأة وتأثيراً من الاعمال التى قامت بها امه ولكن عبثاً ان تطلب منه أن يعود الى حالته الاولى فهو دائما ينظر اليها نظرات الاحتقار والازدراء

انها لا تزال تذكر ذلك اليوم الذى طلبت فيه ان تزور امها فكانت كلمة الزوج « اتفضلى وابقي معها » ثم يخرج الزوج ويدعها

لأمه التي تلمح لها بانها « عديمة الخلقة » وانها « كالبغلة » وليس أشق على نفس المرأة التي كتب لها ان لاتسعد باولاد من تذكيرهما بهم فكيف تصبر وهي تسمع كلاما لاتطيقه النفوس ولا يتحمله الشعور ثارت على امه وأخذا يتشاحنان بقارص القول وانتهى بها الأمر للتشنج الطبيعي لا التشنج المصطنع وارتمت على الارض، حضر الزوج فظن انها تعيد تمثيل الدور فانهال عليها ضربا وركلا الي ان اغمي عليها

لاتذكر بعد ذلك الا انها في بيتها الاول وان امها تبكي — مايبكيك ياأمي؟ فأجابتها — « لقد ارسل لك ورقتك » وماتت الام متأثرة بالمصيبة التي نزلت بوحيدتها ، وعاشت زينب بعد ذلك من ثمن الفراش والاوانى الى ان اتت على كل شيء

انها تذكر أول بيت اشتغلت به كخادمة وكيف طردت في مساء اليوم الاول لأن الزوجة خشيت من جمالها ان يسلب منها زوجها

وتذكر البيت الثاني وكيف فرت منه ولم تكمل الاسبوع لأن صاحبه أبى الا أن تكون خليلته !

وتذكر البيت الثالث الذي طردها صاحبه لانه رأى ولده يطيل النظر بوجهها — ثم هي تذكر بعد ذلك الاوقات التي مرت وهي في مكتب التخديم تنتظر العمل، تذكر أسبوعا كاملا لم تتبلغ فيه بشيء ولم يرض احد ان يقدم لها طعاما أو شرابا الا اذ وجد في نظراتها علامات

التسليم وآيات الخضوع وهي لم ترضخ بعد للتسليم

ثم هي تذكر بعد ذلك كيف ان ابتسامة تافهة جلبت لها ريالا كاملا وربتة خفيفة على كتف شاب كانت كافية لدعوتها للعشاء في مطعم فاخر، انها تقرر ان المجتمع كان مع عفتها قاسيا كله عنف وكله شدة ومع تبذلها رحيما كله رحمة وكله بذخ ورفاهية اذن لماذا تحافظ على العفة ما دام الناس يأبون عليها ذلك ويدفعونها للفجور دفعا ،لماذا تتمسك بأهداب الفضيلة والناس لا يتخيرون الا الرذيلة ألم تكن بشرية مثلهم ؟ اذن لتندفع في هذا السبيل اندفاعا لا يقف عند حد، وضميرها؟ بحثت عنه فلم تجده أو وجدته لا يؤنبها وانما يؤنب ذلك المجتمع الذي ابى ان يشجعها فتظل شريفة وشرفها ؟ وهل من الناس من يعرف قيمة ذلك الشرف لو عرفوا قيمته لمدوا لها ايدي المساعدة اليس شرفها شرفهم ؟

وجسدها لتبيعه لهؤلاء الذئاب مقابل ما يقدمون لها من طعام ولباس ، لتقدمه لهؤلاء الذين لا يعرفون من الشهامة الا اسمها ولا من الشرف الا كلمة تخرج من الفم لا يعززها العمل اليست كل أعمالهم معها تنطق بذلك ؟؟

« لا تلوموني ولوموا انفسكم »

« بهذه الجملة ختمت أمرأة الليل ونزيلة المستشفى اعترافاتها »

ملاحظات

استدراك : لفت نظري صديق فاضل الى أن الدراسة الخاصة بكتاب « ابن الرومي » في كتابتي عن العقاد في صفحة ٦٦ تتفق في بعض الالفاظ والمعنى مع ما نشر بمجلة الهلال الغراء عن هذا الكتاب وقد حاولت أن اكتب من جديد في هذا الموضوع ولكني رأيت ان هذا الامر يكلفني اعادة صفحات كثيرة وتأخير الكتاب عن موعد صدوره — لهذا — اكتفي بهذه الاشارة — وعسى ان يكون في ميدان « توارد الخواطر » مكانا فالتمس عن طريقه الاعذار !!؟

. . . .

تصويبات : في كل كتاب ، يعتذر صاحبه ، عن الاخطاء المطبعية فبعضهم « يتهم المطبعة » و بعضهم يقول « ندت عن النظر » الخ اما انا فأتهم نفسي وفي الكتاب مايدل على صحة الاتهام وفي كلمة الختام ما ينهض برهانا ساطعا على انشغال البال وعلى قسوة الحياة المضطربة التي احياها ولا اشك في ان القارىء الكريم سيدرك بنباهته وذوقه ما باعدت الظروف بيني و بين تصحيحه

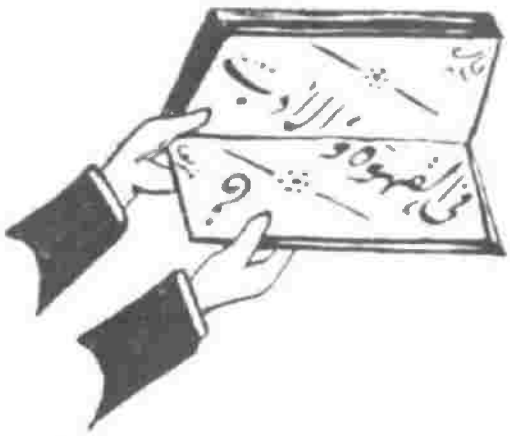

الي ولدى العزيز صلاح ...

ان مصر كانت ولم تزل مهد الحضارة ، ومنبت العلوم ، وبلد الفنون والآداب ، وأن شعلة المعرفة ستظل دائمة الاشراق فوق الاهرام تبدد بنورها الساطع ؛ سواد ليـل الجهل الحالك ، ومصر التى اختارها الشرق لزعامة الأدب ستبقى دائما للشرق قلبه النابض، ولسانه الناطق وفية مخلصة لرسالة الأدب

ـ شاء الله ـ أن تنشر الصحف ، وتعمل المطبعة ، و يصدر هذا الكتاب معلنا للناس حب المصريين للثقافة وانتشارها بينهم ومبرزا صورة واضحة المعانى ، وفكرة كاملة الأجزاء عن انتشار الثقافة وجهاد زعماء الأدب فى هذا السبيل وهل هناك صورة أوضح وفكرة أكمل ـ فى هذا المعنى ـ من كتاب يؤلفه (قهوجى) لم ينتظم فى دراسة ولم يذهب الى مدرسة ، ولم يجلس الى أستاذ ؟؟

إن فى كتابى الكثير من المآخذ وإنى أعترف بتقصيرى وعلي اللوم ، فاذا كان بجانبها مايستحق الحياة ومايكون جديراً باسم الأدب

الى القارىء

في دراسة الادباء ـ تشاهد كثرة المقدمات، والاختزال مما يدل على أني كنت أحب التوسع في هذا الباب ؛ وكذلك في الاقاصيص والصور تجد أن كل واحدة تختلف عن أختها في الاتجاه واللون مما كان يستلزم أن يكون لكل قسم كتاب حتى يتم الاستيفاء ويكمل الاستقصاء ؛ ولكني اثرت أن يكون كتابي الأول جامعاً لمختلف الفنون التي مارستها لهذا اضطررت الى اقتطاف هذه الفصول مما كتبته

وراودت نفسي في عرض ملازم الكتاب على أستاذ حتي يصحح أغلاطه النحوية ولكنها آثرت أن يكون الكتاب بأغلاطه اللغوية والمعنوية صورة صادقة للدراسة الحرة وأثرها ؟

المؤلف

فلعصر ولرسل الأدب فيها — الحمد والثناء

لقد تآلفت على وأنا أكتب فصول هذا الكتاب ، ألوان من المتاعب — منها العمل ومشاغله ، والعائلة ومطالبها ، والبيئة التي تناهض الاطلاع والدراسة — كتبت بعض هذه الفصول وأنا أدير (الحاكي) اجابة لرغبة رواد « القهوة » وصححت ملازمه وأنا أصنع الشيشه أو أقدمها ، فاذا ضممت الي هذا — قسوة العمل وكثرة ساعاته ، وربحي القليل وتوزيعه بين غذائي الروحي ونفقات العائلة — وأرفقت به ، اني لم أنتظم في دراسة ، وانما كانت دراستي مضطربة كحياتي — ويكفي أن أقول أن اطلاعي يكون عادة بعد منتصف الليل بعد كفاح في سبيل العيش عنيف — أقول : اذا أجلت النظر في كل هذا وراجعت الكتاب ، ربما التمست لي عند نفسك بعض العذر ، وظهرت باشفاقك ؛ ولا أقول اعجابك ... كما أحب أن تجعل بجانب هذه المآسي أني كنت راعيا ؛ في سن تجعل من حقي أن أكون لاهيا ، وأبا قبل العشرين ...

. . .

فياولدي — هاهو كتابي أقدمه تحية خالصة لطفولتك البريئة وأملي أن يكون كتابي الثاني له من التعمق والأثر أكثر من هذا النصيب ، فاذا حالت ظروف الحياة القاسية بيني وبين اتمام ماأريد فأرجو أن تعيش وتكتب وانى بما تقدمه — لمغتبط وسعيد .

١ / ٣ / ١٩٣٦ دمنهور عبد المعطي المسيري

عنوان المؤلف

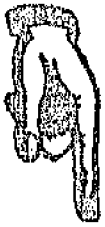

قهوة مستلس

لأصحابها

المستيري الخوالة

يد منهور